

جوانب تأثير آراء الخليل بن أحمد الفراهيدي اللغوية في كتاب سيبويه

Aspects of the influence of the linguistic opinions of Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi on the book of Sibawayh

د / بوعافية جيلالي*

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - (الجزائر)

djilalibou13@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/26

تاريخ القبول: 2025/12/04

تاريخ الاستلام: 2025/10/08

ملخص:

نحاول في هذا البحث أن نظهر جملة من الآثار التي خلّدها سيبويه لشيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي بالنظر إلى نوع منها وهي مسائل وآراء يبرز فيها لفظ (زعم) ويبدو لنا أنه ينصرف إلى معان عميقة و مختلفة لكنّها في جملتها توحى بمكانة مرموقة أراد سيبويه أن يوثّقها شيخه من خلال كتابه (الكتاب)، والذي كانت آراء شيخه مادة أساسية فيه؛ بنى سيبويه عليها كثيرا من قواعد اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ سيبويه؛ الآراء اللغوية؛ الكتاب؛ التأثير.

Abstract:

In this research, we are trying to show a number of works immortalized by Sibawayh by his sheikh Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi on looking at some of them, which are issues in which the word “alleged” appears. It seems that he is focusing on deep and different meanings, but in their entirety they suggest a prestigious position, which Sibawayh wanted to convey to Sheikh Al-Khalil through the book Al-Kitab, on which the opinions of Al-Khalil bin Ahmad were basic material on which Sibawayh built many of the rules of the Arabic language.

Keywords: Al-Khalil Bin Ahmed Al-Farahidi; Sibawayh; Linguistic Opinions; Book; Influence.

مقدمة:

الحمد لله بجميع محامده وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إظهار الأهمية اللغوية والنحوية للخليل، والكشف عن بعض جوانب تأثيره في تلميذه النجيب سيبويه، والتأكيد على قيمة الاحترام، والتقدير المتبادل بين التلميذ وشيخه، و حتى في حالة المخالفة وعدم الأخذ بآرائه.

ولقد أظهرت النتائج وجود مكانة خاصة للخليل عند سيبويه؛ ويتضح ذلك من مجموع الآراء، والإفادات التي نقلها التلميذ عن أستاذه، إما بطريقة مباشرة- أي بالتصريح بصاحب الرأي أو الفكرة-، وإما بطريقة غير مباشرة- أي دون ذكر اسمه- وفي كلا الحالتين تظهر الأمانة العلمية التي تمتع بها سيبويه في مدارسته علم النحو، وردّه الآراء إلى أصحابها.

نقول إذن إنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي -رحمة الله عليه، وعلى جميع من خدم هذه اللغة الشريفة - كان من بين العلماء الذين أفنوا حياتهم خدمة للغة العربية، ولم تكن إسهاماته قاصرة على علم النحو والصرف، بل تعددت إلى علوم لغوية كثيرة يأتي على رأسها (علم المعجمية)، و(علم العروض)، بالإضافة إلى علم الأصوات. وكان تلميذه امتدادا له، فقد اقتفى أثره، واتبع منهجه في دراسة اللغة حتى فاق أقرانه، وبدت عبقريته من عبقرية شيخه؛ وتمثلت هذه النباهة وهذا التفوق في كتابه الذي ألفه في علم النحو، و الذي أبحر به من جاء بعده .

كان الخليل رحمه الله أحد أهم الأعلام الذين لا يخلو كتاب في اللغة من ذكر اسمه، بل نجد كتباً عديدة ككتاب سيبويه قد امتلأ بذكره والإفادة منه والرجوع إليه في الكثير من مباحثه وقضاياها.

ولقد وصل رحمه الله إلى مرتبة عالية في العلم جعلته يتبوأ مكانة خاصة ، وكبيرة في البصرة حتى غدت حلقة قبله للمتعلمين من شتى الأمصار ، والبقاع، فخرج على يديه تلاميذ صاروا في ما بعد شيوخ هذا العلم وحملوا لواءه ، بل وأجادوا فيه أيما إجادة.

فالفراهيدي إذن هو إمام النحو واللغة، وعالم الأصوات، والعروض الأول، وبلا منازع، حتى أنّه لُقّب بالعبقري؛ لسعة علمه، وإلمامه الكبير بجميع فنون علوم اللغة العربية، و واضع أساس المعاجم وله معجم ألف في العربية. وأنّه بعبقريته ابتكر العروض لقياس الشعر، وإليه يرجع الفضل في إظهار معالم القياس في النحو، ووضع رسومه ، ومناهجه، ونجد في الكتاب أنماطاً كثيرة من قياساته مبعثرة في أبواب شتى. وإذا رجعنا إلى (الكتاب) وجدناه فيضا من الشواهد القرآنية التي اعتمدها شيخه، وغيرها من الشواهد اللغوية الأخرى ، وقد عرف عنه كثرة تفسيره لآيات القرآن وتوجيهها توجيهاً نحويًا. وكان في معظم ذلك إمّا ردّا عن الأسئلة التي يوجهها له تلاميذه أثناء حلقة، وإمّا عن استعمال معيّن أو تعبير خاص ، وإذا اختار وجهها دَعَمَه بشاهد من القرآن الكريم ، أو كلام العرب.

أما عن التلميذ سيبويه (180هـ) فيعدّ أول من دوّن قواعد اللغة العربية في كتاب ؛ والذي سمي في ما بعد ب(الكتاب) ، فهو إمام النحاة قاطبة ، وكل من جاء بعده أخذ عنه ونهل من كتابه هذا ، وهو رئيس مدرسة البصرة في النحو و الصرف ، وهو الذي حمل علم الخليل ، وأوثق من حكي عنه وأكثر .
وقد أجمع العلماء قديما وحديثا على أنّ كتابه (الكتاب) هو خلاصة للفكر النحوي للأئمة السابقين من المدرسة البصرية ، وهو مثلهم الأعلى الذي احتذوه وبنوا عليه في الأحكام والشواهد .
لقد نهج سيبويه في الأخذ عن شيخه الخليل طرقا متعددة ، فقد نراه ينقل عنه الآراء نقلا مباشرا أحيانا ، وبالواسطة أحيانا أخرى ، أو يصدر رواياته عنه بقوله : "وزعم الخليل" والتي نسميها "مسائل الزعم" ، وهي مسائل يظهر فيها لفظ "زعم" ويبدو لنا أنه ينصرف إلى معان عميقة ومختلفة لكنها في جملتها توشي بمكانة مرموقة أراد أن يبوئها شيخه ، وذلك من خلال الإشارة إليها في تصريح ؛ وهي نظرة نخالف بها رأي من يقول " أن لفظ (زعم) إنما يذكر للآراء التي لا يوافق عليها شيخه ، إذ أنهم يحصرون معنى "زعم" على القول المشكوك فيه ، ولعل هذه المعاني التي نقصدها والتي بها ندلل على الأثر الكبير الذي بدا واضحا في تلميذه النجيب ، هي :

- زعم بمعنى: يرى
 - زعم بمعنى: جاء بالرأي الغريب .
 - زعم بمعنى تحمّل ، ذكره ابن القطاع .⁽¹⁾
 - زعم بمعنى روى ، وهو معنى يمكن أن يوصف بأنه مؤلّد من قبله فيما نزعم .
 - زعم بمعنى: جاء بكلام هو فيه زعيم أي رئيس ، وهو كقوله تعالى : ﴿...وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾⁽²⁾ .
 - زعم بمعنى: ادعى ، وادعاه قد يبعد عن الصواب بنسبة ما .
 - زعم بمعنى: ادعى بحيث إنّ ادّعاءه لا صواب فيه قط ، وهذا المعنى ليس واردا عنده واصفا به شيخه ، وقد يكون قول الله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ...﴾⁽³⁾ من هذا القبيل .
- وفي كل هذه المعاني عدا الأخير معنى الإبداع والتأثير العلمي والجراءة على قول الرأي المخالف البديع .
ثم إنّنا نحاول قراءة المسائل التي بدا فيه أحد تلك المعاني على ثلاث تصنيفات كبيرة هي :
- مسائل المتابعة والأخذ والتلمذة بيديها التلميذ صراحة أو ضمنا .
 - مسائل المناظرة والمناقدة يبدو فيها خارجا عن دائرة ما ينقله "زعمنا وادعاء" عن شيخه مع كامل الاحترام والروح العلمية والأمانة المنهجية .

1. مسائل الأخذ والتلمذة:

يدلّنا على تتلمذ صاحب الكتاب على أفكار وآراء شيخه واعترافه بالأخذ عنه عبارات شتى توحى بالاحترام والاعتداد بالرجل و آرائه النحوية ، ومن هذه العبارات عبارة ترددت كثيرا في الكتاب وصف بها شيخه وأفردها له

وهي: عبارة الترحم "رحمه الله" وهي عبارة وإن بدا أنها تقال لكل أحد مات، إلا أنه، وظفها توظيفاً علمياً "تصنيفياً" فكانت عنده تخصص بالشيخ، كما في المواضيع التالية تمثيلاً غير حصري:

(1) من ذلك قوله: "لأنه مخرج مما أدخلت فيه غيره، فعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم حيث قلت: له عشرون درهماً، وهذا قول الخليل رحمه الله." (4)

(2) وقوله أيضاً: "و سألته رحمه الله عن قولهم، أيهنّ فلانة، وأيتهنّ فلانة، فقال: إذا قلت أيّ فهو بمنزلة كلّ لأنّ كلّاً مذكر يقع للمذكر والمؤنث وهو أيضاً بمنزلة بعض، فإذا قلت أيتهنّ فإنّك أردت أن تؤنث الاسم، كما أنّ بعض العرب فيما زعم الخليل رحمه الله يقول: كلتهنّ منطلقاً." (5)

(3) و يقول كذلك: "كم غلاماً لك ذاهب؟ تجعل لك صفة للغلام، وذاهباً خيراً لكم." (6) وهذا وإنّ للتلميذ لدى شيخه أيضاً حظوة الرجل المنصف المتواضع، وقد روى عنه أنه لما مات صاحب الكتاب قيل ليونس: إنّ ألف كتاباً من ألف ورقة في علم الخليل، فقال يونس: ومتى سمع منه هذا كله؟ جيئوني بكتابه، فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى، قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاها، كما صدق فيما حكى عني." (7)

والعبارات الدالة على الإفادة التي حصلت من جهود الفراهيدي من قبل تلميذه النجيب مثلاً، عبارات التقوية والتأييد بآرائه، يؤيد ويدعم بها آراءه أو آراء ساقها لبعض شيوخه كأبي عمرو ويونس وعبد الله بن أبي إسحاق وغيرهم... ومن ذلك:

(1) قوله: "وإن قلت له صوت أيّما صوتٍ أو مثل صوت الحمار أو له صوتٌ صوتاً حسناً جاز، زعم ذلك الخليل رحمه الله، ويقوي ذلك أن يونس وعيسى جميعاً زعما أنّ رؤية كان ينشد هذا البيت نصبا: فيها ازدهاف أيّما ازدهافٍ" (8)

فقوى بروايتهن كأيّما قوّى كلامه بقولهم وإثّم يوافقون رؤية النصب كأنّ الأسماء عملت عمل الأفعال في نصب المصادر أي المفاعيل المطلقة بعبارة النحو الحديث.

(2) و يقول صاحب الكتاب في باب ندبة الصفة: "وأما يونس فزعم أنّه ليس يرفع شيئاً من الترحم على إضمار شيء يرفع، ولكنّه إن قال: ضربته لم يقل أبداً إلاّ المسكين، يحمله على الفعل، وإن قال: ضرباني: قال: المسكينان، حملة أيضاً على الفعل، وكذلك مررت به المسكينَ يحمله الرفع على الرفع، والجرّ على الجر، والنصب على النصب. ويزعم أنّ الرفع الذي فسّرنا خطأ، وهو قول شيخه رحمه الله وابن أبي إسحاق." (9)

ويظهر تأثر ابن قنبر بأسلوب المحدثين وألفاظهم التي يستخدمونها في سلاسل التحديث مثل ألفاظ: حدثني، أخبرني، عن فلان... وهي عبارات نستفيد منها في سياق كلامنا هنا في المشيخة التي بوأ بها أبو بشر شيخه، والمكانة العلمية التي أناله إيّاها، وكثيرة هي آراء الفراهيدي في الكتاب اعتنقها تلميذه بصورة مباشرة أو غير مباشرة من ذلك على سبيل المثال النصوص التالية:

1) منها قوله: "انطلق بفتح القاف لئلا يلتقي ساكنان، كما فعلوا ذلك بأين وأشباهها، حدثنا بذلك الخليل عن العرب وأنشدنا بيتا وهو لرجل من أزد السراة:

عجبت لمولود وليس له أبٌ ❁ وذي ولدٍ لم يَلِدْهُ أبوان⁽¹⁰⁾

بفتح الدال وإسكان العين، وهي لغة من لغات العرب وهم أزد السراة.

(2) ويقول في باب الوقف في آخر الكلم:

"فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام، كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف...، وأما الذي أجرى مجرى الإسكان والجزم فقولك: مخلد، وخالد، وهو يجعل... وأما الذين راموا الحركة فهم الذين قالوا: هذا عمر، وهذا أحمد، فإنه يريد رفع لسانه، حدثنا بذلك عن العرب الخليل وأبو الخطاب، وحدثنا الخليل عن العرب أيضا بغير الإشمام وإجراء الساكن، وأما التضعيف فقولك هذا خالد، وهو يجعل وهذا فرج، حدثنا بذلك الخليل عن العرب." (11)

(3) و يقول في باب الوقف أيضا: "كما أنك إذا قلت: مصطفىين: جئت بأشبه الحروف بالصاد من موضع التاء، لا من موضع آخر وذلك قول بعض العرب في أفعى: هذه أفعى، وفي حبلى، وفي مثنى: هذا مثنى، فإذا وصلت صيرتها ألفا. وكذلك كل ألف في آخر الاسم، حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لعة لغزارة وناس من قيس وهي قليلة." (12)

ومن الأدلة أيضا على الأثر الذي أحدثته آراء الفراهيدي وجهوده وابتكاراته ورود ألفاظ "سألته وسمعته..." وهي ألفاظ تدل على تلمذة مباشرة واتكاء على جهود الرجل والاحتجاج بها على صواب الرأي وسداد الفكرة وقوة المستند وهي كثيرة في الكتاب نذكر منها:

1- منها قوله: "وسألته رحمه الله عن قوله:

ألا رجلا جزاه الله خيرا ❀ يدل على محصلة تبيت

فرغم أنه ليس على التمني، ولكنه بمنزلة قول الرجل: فهلا خيرا من ذلك، كأنه قال: ألا تروني رجلا جزاه الله خيرا." (13)؛ وهذا مذهب وسيبويه، وشيخه الخليل.

2- وكذلك قوله: "وسألته رحمه الله عن قولهم أضرب أيهم أفضل؟ فقال: القياس النصب، كما تقول: اضرب الذي أفضل، لأنّ "أيا" في غير الجزاء والاستفهام بمنزلة الذي، كما أنّ "من" في غير الجزاء والاستفهام بمنزلة الذي." (14)

ثم يواصل حديثه في هذه المسألة حيث يقول: "وحدثنا هارون أنّ ناسا وهم الكوفيون يقرؤونها: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (15)، وهي لغة جيّدة. نصبوها كما جروها حين قالوا: "امرر على أيهم أفضل، فأجراها هؤلاء مجرى الذي إذا قلت: اضرب الذي أفضل، لأنك تنزل أيا ومن منزلة الذي في غير الجزاء والاستفهام." (16)

وهذه الآية الكريمة أسالت مدادا كثيرا وشغلت أقلام النحويين والمفسرين قديما، وذلك سببه إيراد الأداة "أيّ" بالضم بعد فعل عامل بنظر الاستقراء.

ويمكننا دراسة بعض المسائل التي ظهر فيها لفظ "زعم" على جميع المقاصد منه لبيان أثر إبداعات هذا الرجل في غيره بمن أحاطوا به أندادا أو أجدادا أو أحفادا في العلم ناهلين من جهوده نسبوها إليه أو تبنوها بكل أدب وروح علمية.

2. مسائل المناظرة والمناقشة:

يمكن بعد تتبع فصول كثيرة من أبواب الكتاب أن نضع اليد على جملة من مسائل "الزعم" التي أوردتها بمعنى تمت إلى الإدعاء بصلة، ولذلك وجدناه يدي انتقادات أو ردود بسيطة أو قوية بعد إيراد آراء شيخه رحمه الله ومنها:

1- قوله: "وزعم رحمه الله أنه يجوز أن يقول الرجل: هذا رجلٌ أخو زيدٍ، إذا أدت أن تشبهه بأخي زيد، وهذا قبيح ضعيف لا يجوز إلا في موضع الاضطرار، ولو جاز هذا لقلت: هذا قصير الطويل، تريد: مثل الطويل، فلم يجوز هذا كما قبح أن تكون، "المعرفة" حالا للنكرة إلا في الشعر." (17)

2- ومن مسائل المناظرة والندية الواضحة تجاه شيخه نفية الزعم لشيخه في مسألة تعريف الحال وتنكيره؛ حيث ضعف رأي شيخه؛ وهذا مما يدخل في باب الاعتراض - اعتراض بين اسم إن وخبرها -.

والذي يتبني البحث الدقيق وسير أغوار الكتاب لا يعدم مجموعة لا بأس بها من المسائل الدالة على الإفادة التي حصلت للتلميذ من آراء أستاذه دون تصريح منه بها، لعل أبرزها امتلاك المقدرة على المناقشة والآراء والأفكار أيا كان مصدرها وزوال التهيّب من انتقاد المشايخ مهما علا كعبهم في التخصص، وهذه الفكرة ظاهرة في إشارات التي لا تظهر للعيان أول وهلة ولكنها إشارات عميقة يبدو بتحليلها والوقوف عندها ما ادعيناها في هذه الفقرة. وإن بلغ هذا النضج وهذه الندية وممارسة الاعتداد بالآراء وانتقاد المشايخ هو أمر - في حد ذاته - يُكتسب ويؤخذ منهم، غير أنه يحتاج إلى موفور الأخلاق العلمية والدمائة في أثناء مزاوله الحياد والانتقاد، وهو بالفعل ما التمسناه في كتابه (الكتاب)، وليس فقط مع شيخه الخليل، بل كان ذلك ديدانه مع جميع من تتلمذ عليهم من الشيوخ.

3. مسائل الحياد:

إن من يبحث في نصوص الكتاب التي تعامل فيها مع شيخه ابن أحمد وحتى مع غيره من الشيوخ يجد الرجل قد أكثر من المسائل التي سميها مسائل المتابعة والأخذ، وكذلك مسائل المناقشة والمناظرة وتأتي في أقل من ذلك عددا، بحسب سيرنا مسائل حاد فيها برأيه فلم يتبع ولم يناقش، بل أيد هو الآخر رأيا ابتكره وضرب عن آراء أولئك الشيوخ صفحا مع وجودها، يفهم ذلك من البحث في كتب القوم المتأخرة بحيث تظهر للفرايدي أو غيره مبنوثة فيها لم يعنها سيبويه، وفضل الاجتهاد وإبداء الرأي فيها، لاسيما في باب التعليل المفتوح على العقل العلمي المنضبط، ونحن نعرض مسألتين تؤكدان هذا النوع من التعاطي مع المسائل والشيوخ: وهما:

أ- حذف باء الإضافة من الأسماء وعلته:

يقول سيبويه في هذا الباب: "اعلم أنّ ياء الإضافة لا تثبت مع النداء كما لم يثبت التنوين في المفرد، لأنّ باء الإضافة في الاسم بمنزلة التنوين لأنها بدل من التنوين، ولأنه لا يكون كلاما حتى يكون في الاسم، كما أن التنوين إذا لم يكن فيه لا يكون كلاما" (18) وهذا رأي يبدو فيه ابن قنبر مبتكرا ونلمس فيه التفكير النقدي.

وزاد إبداعه الفكري كما يظهر جليا في هذه المسألة عندما ذكر العلة التي من أجلها جاز الحذف لياء الإضافة في النداء خاصّة، وهي كثرة الاستعمال لأسلوب بعينه حيث يقول: "وصار حذفها هنا لكثرة النداء في كلامهم حيث استغنوا بالكسرة عن الياء" (19).

وكان أبو عمرو يقرأ بإثبات الياء في الآية الكريمة قلب الياء ألفا في هذا الباب الذي ذكره سيبويه بعلته فصيح بدليل وروده في قراءات قرآنية كقوله تعالى: ﴿...يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ...﴾ (20).

ثم ينقل لنا قوله: "وسألت الخليل عن قولهم: يا أبة يا أبة لا تفعل ويا أبتاه ويا أمتاه فزعم: أنّ هذه الهاء مثل الهاء في عمة وخالة وزعم أنّه سمع من العرب من يقول: (يا أمة لا تفعلي)." (21)

وينقل لنا أبو حيان رأيا بدا عن الأخفش وأصله من رأي الفراهيدي فقال: "وأجاز الأخفش حذف الألف والاجتزاء بالفتحة عنها، فتقول: يا غلام، وأجاز ضمه وهو على نية الإضافة فنقول: يا غلام تريد يا غلامي، وعلى ذلك من قرأ: ﴿...قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ...﴾ (22). ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ (23).

وخلاصة القول في هذه المسألة أنّ أوجه هذا المنادى ستّة اتفقوا على خمسة منها فاشتهرت وهي:

حذف الياء التي أضيف إليها المنادى:

- حذفها.

- ثبوتها ساكنة.

- ثبوتها متحركة أي مفتوحة.

- قبلها ألفا.

- قبلها ألفا مع حذفه وإبقاء الفتحة دليلا عليها.

ب- بناء "أيّ" وإعرابها:

اشتهر عند النحاة أن (أيّ) تأتي معربة حسب موقعها الإعرابي فتفتح في حالة النصب وتكسر في حالة الرفع وتنون بالحركات الثلاث.

إلا أنّها وردت في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (24) مضمومة.

ولما كانت معربة كان لا بد أن تأتي مفتوحة في الآية، كونها مفعولا به (نزع).

فذهب ابن أحمد رحمه الله إلى القول: "بأنّها مرفوعة على الحكاية وتقدير الكلام اضرب الذي يقال له أيهم أفضل، وقاس ذلك على قول الأخطل:

وَلَقَدْ أَبَيْتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلِ ❀ فَأَبَيْتُ لَا حَرْجٌ وَلَا مَحْرُومٌ. (25)

وقد خالف يونس الخليل في تأويلها فيرى "أنّها مرفوعة على الابتداء والجملة بعدها في محل رفع خبر والفعل قبلها معلق، وهو بمنزلة أشهد أنّك لرسول الله." (26)

ويطالعنا في هذه المسألة برأي مبتكر واضع نفسه وضع النديّة لشيخه الخليل ويونس معا، بل ويخالفهما فيها، حيث يرى أن (أيّ) بني على الضم إذا أضيفت إلى جملة اسمية كما في الآية الكريمة وكما في قولهم (اضرب أيّهم أفضل)، و(اضرب أيّهم قائم).

وقد خالف التلميذ أستاذه في تعليل هذا المذهب إذ يقول: "وتفسيره رحمه الله ذلك الأوّل بعيد إنّما يجوز في شعر أو في اضطرار ولو ساغ هذا في الأسماء لجاز أن تقول: اضرب الفاسق الحبيث تريد الذي يقال له الفاسق الحبيث"⁽²⁷⁾. ويفسر ما ذهب إليه بأنّ قولهم: "اضرب أيّهم أفضل على أنّهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في (خمسة عشر) وبمنزلة الفتحة في (الآن) حيث قالوا من الآن إلى الغد، فعلوا ذلك بأنهم حين جاء مجيئنا لم تجئ أخواته عليه إلّا قليلا." ⁽²⁸⁾

وفي الأخير نقول: إنّ أثر الخليل في كتاب سيبويه، وبالأخص في تلميذه النجيب، والفدّ، كان عظيما عظم الرجل، ومجموع الأبواب، والمسائل التي أثبتتها سيبويه لشيخه في الكتاب كثيرة، وما سقناه هنا في هذه الدراسة ما هو إلّا تمثيلا لا حصرا.
خاتمة:

يمكنني من خلال ما سبق استخلاص النتائج التالية والتي أسفرت عنها هذه الدراسة في النقاط التالية:
— كان ابن أحمد رحمه الله أحد الأعمدة التي تأسس عليها النحو العربي؛ فكان خليقا بتسميته النحوي العبقري.

— إنّ الفراهيدي إمام نحا البصرة في عصره غلب عليه القياس فكان أثره في تلميذه الفدّ كبيرا كبر حلقة.
— لم يقتصر أثره على تلميذه هذا فقط بل تأثر بآرائه وعلمه الكثير من علماء البصرة والكوفة، وغيرها من الأمصار. وكان أثره أوضح في ظهور الكتاب؛ الذي سبق زمانه بكثير.

— كان أبو بشر همزة وصل في نقل آراء شيخه النحوية والصرفية بكلّ أمانة علمية؛ فكانت آراؤه وآراء غيره من العلماء مادة بنى عليها كثيرا من قواعد اللغة العربية.

— على الرغم من أن كان من خلاف نحوي بين التلميذ وشيخه إلّا أنّهم التقوا في كثير من المسائل، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على نظرهم العلمية العميقة والدقيقة، كم يدلّ على الروح العلمية البعيدة عن العصبية وحظوظ النفس؛ التي تحلّى بها علماؤنا الأجلاء رحمهم الله جميعا.

— لقد أفاد سيبويه كثيرا من شيخه في رواية الشعر، وكان يهتم بالعلّة النحوية ومظاهرها كثيرة في الكتاب.
— كان للشيخ مكانة كبيرة عند تلميذه ويتبين ذلك في مواطن كثيرة منها حرصه على نسبة الآراء للخليل في الكثير من المواضع.

— لا يذكر اسم الخليل في مواضع من الكتاب لثقتة في روايته، ولكثرة ما نقل عنه.
— موافقته لآرائه مصحوبا بالترحم عليه.

الهوامش:

- (1) ينظر: ابن القطاع، كتاب الأفعال، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1983، 87/2.
- (2) سورة يوسف، الآية 72.
- (3) سورة التغابن، الآية 7.
- (4) ينظر: سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، 330/2.
- (5) الكتاب 407/2.
- (6) نفسه 169/2.
- (7) ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، ص52.
- (8) الكتاب 364/1، عجز بيت لرؤية الراجز، صدره: قولك أقوالا مع التحالف، ينظر: خزانة الأدب، 39-38/2.
- (9) الكتاب، 77/2.
- (10) نفسه، 115/4.
- (11) نفسه، 169/4.
- (12) نفسه، 181/4.
- (13) نفسه، 308/2. والبيت لعمر بن قعاس. أنظر: خزانة الأدب 51/3؛ وشرح شواهد، المغني، ص.214، أنظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، تح: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص93-94.
- (14) الكتاب 398/2، أنظر: ابن السراج، الأصول في النحو، 223/2.
- (15) سورة مريم، الآية: 69.
- (16) الكتاب 399/2.
- (17) الكتاب، 361/1.
- (18) الكتاب 209/2.
- (19) الكتاب، 209/2.
- (20) سورة الزمر، الآية: 53.
- (21) الكتاب 340/1.
- (22) سورة الأنبياء، الآية: 112.
- (23) سورة يوسف، الآية: 33.
- (24) سورة مريم، الآية: 69.
- (25) الكتاب 399/2. البيت من ديوان الأخطل، تقديم وشرح: دار صادر، بيروت، ط1، 1999، ص258.
- (26) نفسه 399/2.
- (27) نفسه، 401/2.
- (28) نفسه، 400/2.

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم برواية ورش.

- (1) ابن القطّاع، كتاب الأفعال، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1983.
- (2) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تح: إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، د.ت.
- (3) أبو بكر السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، النجف الأشرف: مطبعة النعمان، د.ط، 1973.
- (4) أبو علي الفارسي، التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض القوزي، مركز النخب العلمية، ط1، 1998.
- (5) البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مصر: مكتبة الخانجي.
- (6) جلال الدين السيوطي، شرح شواهد المغني، مكتبة الحياة، د.ط، د.ت.
- (7) ديوان الأخطل، تقديم وشرح: كارين صادر، بيروت: دار صادر، ط1، 1999.
- (8) الزبيدي، طبقات النحويين واللّغويين، تح: أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف، ط2.
- (9) عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، القاهرة- مصر: مكتبة الخانجي، 1988.